2- المناهج الفلسفية المعاصرة:

ارتباط الفلسفة بما عداها من معارف وعلوم وثقافات في العصر الحديث جعلها تبني مناهج فلسفية جديدة تشكك أصلا في المناهج الفلسفية الكلاسيكية القديمة، وتدعونا إلى تجاوزها، حيث نجد مثل هذه المحاولة عند مارتن هيدغر، وجاك دريدا، وهوسرل وميرلوبنتي، وبول ريكور وغادامير:

أ- التقويض عند مارتن هيدغر(1889/ 1976):

مارتن هايدغر فيلسوف ألماني معاصر، اهتم منذ البداية بدراسة الدين والفكر اللاهوتي، ولكنه انتهى الى نقدهما كما هو الحال في كتابه: " الوجود والدين "، وبدأ انطلاقا من ذلك في الاهتمام بالفلسفة لاسيما الفلسفة الفينومينولوجية عند هوسرل. من أهم آثاره في هذا المجال " الوجود والزمان " " مدخل الى الميتافيزيقا "، " كانط ومشكلة الميتافيزيقا"، " تاريخ مفهوم الزمان"، " المشاكل الأساسية للفينومينولوجيا".

الخصائص العامة لمنهج هيدغر: يحدد لفيناس الخصائص التالية لمنهج هيدغر:

- أن هيدغر لم يتبع هوسرل في كل خطوات منهجه الفينومينولوجي، وهذا يتضمن أن منهجه فينومينولوجي ولكنه يختلف على منهج هوسرل المثالي، فهو يعطي لذلك المنهج طابعا أنطولوجيا هو البحث في ماهية الوجود الفردي المتعين أو الدازاين
- يعطي أهمية أكبر لمبدأ الحساسية أو الحدس، وهو الادراك المباشر لوقائع الوجود كما هي.
- الاختزال الفينومينولوجي الذي يسمح باستبعاد المقاربة الطبيعية والتجريد.
- استبعاد المفاهيم والموضوعات النظرية مثل مسائل تأسيس المعرفة والأنا المطلق.

ويمكن أن نحدد ثلاثة خطوات أساسية في منهج هيدغر الفينومينولوجي:

- التقويض من قوض الشيء أي هدمه أو حطمه، فالتقويض يعني الهدم والنقد أو السلب، حيث بدأ هيدغر بنقد أسس الفلسفة الغربية وتفكيك بنائها النظري الفلسفي واللاهوتي، أو تقويض تاريخ الأنطولوجيا الغربية التي تتميز بطابعها الميتافيزيقي
- الاختزال الفينومينولوجي: حيث اختزل هيدجر الفينومينولوجيا في الدازاين وهو بحث الذات في وجودها ذاته وفي وضعيتها وانشغالها وهمها واهتماماتها، وبما أن الدازاين يعبر عن وجوده بواسطة اللغة، فاللغة إذن هي واسطة بين الذات وذاتها، ولذلك يكتسي منهج هيدجر طابعا تأويليا.
- البناء الفينومينولوجي: يقصد به قدرة الدازاين على بناء وجوده كنمط للوجود الفعلي وليس كنمط للمعرفة، ويبدأ هذا البناء بوعيه لوضعيته وبنائه لمشروع حياته ومعنى وجوده.

ب- **التفكيك عند جاك دريدا:(1930-2004):** أديب فيلسوف فرنسي من أصل جزائري، اهتم بفلسفة ما بعد الحداثة، وأنشأ اتجاها جديدا يسمى التفكيكية، من أهم آثاره: " علم

الكتابة "، " الكتابة والاختلاف"، " الكلام والظواهر"، " الكلام والظواهر"، " هامش الفلسفة ".

تأثر دريدا بثلاثة فلاسفة ألمان كبار هم نيتشه وهيدغر وهوسرل، فمن الأول تعلم نقد القيم السائدة، ومن الثاني كيفية تقويض الميتافيزيقا، أما الثالث فكان موضوعا لأطروحته في الدكتوراه.

1- **مفهوم التفكيك**: لغة هو فك الارتباط، أما فلسفيا فيؤكد جاك دريدا أن التفكيك غير قابل للتعريف، حيث لا يمكن أن نصل إلى معنى محدد بشأنه، ولذلك نجد تعريفات متعددة له عند جاك دريدا وغيره من الباحثين:

- التفكيك هو فك ارتباط اللغة بما هو خارج عنها، فاللغة عنده لا تستطيع الاحالة إلى أي ظاهرة أو شيء إحالة موثوق بها. هناك دائما عتمة بين اللغة وما تشير إليه في الواقع.
- التفكيك هو استحالة إثبات معنى متماسك للنص، فالنص يحمل دلالات ومعاني مختلفة وحتى متناقضة.
- التفكيك ليس هدما، لأنه قبل هدم شيء معين يجب معرفة بنائه. " إن التفكيك حركة بنائية وضد بنائية في الآن نفسه ".
- التفكيك هو التقويض: أي خلخلة كل المبادئ والثوابت والمركزيات الفلسفية والميتافيزيقية والدينية واللاهوتية الغربية، خاصة الثنائيات الغربية: العقل والعاطفة، المشافهة والكتابة، الرجل والمرأة...وهي ثنائيات تمنح الأولوية للطرف الأول في الثقافة الغربية، وهذا هو التمركز المنطقي الذي يجعل المعنى وظيفة المتحدث وهو سابق على اللغة.

- **نستنتج** أن التفكيك يحمل دلالات متعددة، فهو البناء وإعادة البناء، وهو التحليل، وهو النقد، وهو التقويض...وكل هذه المعاني.

2- **قواعد المقاربة التفكيكية:** لا يعتبر دريدا التفكيكية منهجا بل هي مجرد مقاربة أي طريقة لفهم الموضوعات والتقرب من دلالاتها، وهي تخضع لأفكار مختلفة يمكن حصرها فيما يلي:

- **الإختلاف:** يشير الاختلاف عند دريدا الى التشتت والانتشار والمغايرة وتعارض الدلالات، وهذا يتطلب السماح بتعدد التفسيرات انطلاقا من وصف المعنى وعدم الخضوع إلى معنى مستقر، وهذا يفرض العيش داخل النص.
- **نقد التمركز:** أي نقد المركزية التي ترجع النص الى بنية معينة أو مبدأ أو قانون أو قواعد.
- **نظرية اللاعلم:** قراءة النص هي قراءة حرة، تقرأ في النص معاني مختلفة، وتكشف عما يخبئه من مرجعيات أخرى، وتسمح بطرق جديدة في التحليل والقراءة.
- **علم الكتابة:** يعد دريدا الكتابة أفضل من الكلام عكس دو سوسير الذي يركز على الصوت والكلام، وبذلك تتحول اللغة من نظام الأصوات والكلمات الى نظام الآثار المكتوبة

- **الحضور والغياب:** يرى دريدا أن جميع الاجراءات النقدية للتفكيك تخضع للحضور والغياب، أي حضور الدال وغياب المدلول، حضور الكتابة وغياب الكلام...وبهذا استطاع دريدا أن يقوض الخطاب الفلسفي الغربي من خلال كشف متناقضاته وتعدد دلالاته، واللعب بأنظمته وممارساته، وتأكيد تعدد الاختلاف وغياب المعنى.

ت- المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل وميرلوبنتي:

1- إدموند هوسرل: E.Husserl

الفينومينولوجيا كلمة مشتقة من (phenomenone) اليونانية، أي ظاهرة، وتعني ما يظهر للإنسان، وهي كلمة مركبة من شطرين: phénomène أو ظاهرة و logie أي علم، فهي علم الظواهر. وفي الفلسفة العربية المعاصرة هي: الظاهراتية.

إصطلاحا: هي مدرسة فلسفية معاصرة تتناول الخبرة الحدسية المباشرة للظواهر وتنطلق منها لفهم ماهيتها. يقول هوسرل: " إن عملية إدراك الماهيات هو جوهر الفينومينولوجيا."

إن هذا الانتقال من الفينومينولوجيا الوصفية إلى الفينومينولوجيا المتعالية إلى الفينومينولوجيا التقومية يحتاج إلى منهج اجتهد هوسرل في وضع أسسه وصفاته، ومن المهم أن نشير إلى أهمها هنا:

فهو أولا منهج حدسي، أي يقوم على الادراك المباشر لظواهر الوعي، فيراعي حضورها فيه وتميزها عما عداها، بل حدس يميز بين بطونية الوعي الذاتي وفروقية الوعي بشيئية الأشياء، ولذا فهو ليس فقط حدس حسي بل عقلي أيضا.

وثانيا، فإن هذا المنهج وصفي، يجتهد في وصف ظواهر الوعي ويميز بين ما هو أساسي فيها وما هو عرضي، ما هو ثابت وما هو متغير، وهو يتلون بطبيعة الفينومينولوجيا التي يطبق في سياقها، إذ يهتم في الفينومينولوجيا الوصفية بتحديد الصفات الموضوعية لظاهرة الوعي، بينما يركز في الفينومينولوجيا المتعالية بالبحث عن الصفات القبلية والبديهية الذاتية المؤسسة لتلك الماهيات الموضوعية للأشياء، أما الفينومينولوجيا التقومية فهي " العودة إلى وصف مجريات فاعلية الوعي في العالم، ومن الواضح أن هذه العودة إلى الوصف قد أصبحت مجهزة بمحصلات الفينومينولوجيا المتعالية وبداهاتها التأسيسية " (د. خوري: مدخل إلى الظاهراتية. ص: 62 " إذن، هو وصف يطبق بداهات وخصائص الأنا المتعالية على التجارب الحية الخاصة.

ثالثا: الرد الفينومينولوجي هو إرجاع ظواهر الأشياء إلى أصولها ومبادئها، ولكن يميز فيه هوسرل بين نوعين: الرد الماهوي في الفينومينولوجيا الوصفية حيث يرجع الوعي الأشياء البسيطة والجزئية إلى ماهيتها الموضوعية التي تتقوم بها. والرد المتعالي أو الترانسندنتالي الذي يحاول تفسير تلك الماهيات الموضوعية وتبرير مشروعيتها بالبحث عن أسسها في الأنا المطلق.

رابعا: التعليق هو الامتناع عن إصدار الأحكام في فحصنا لماهيات الظواهر أو أسسها القبلية البديهية، ففي الفينومينولوجيا الوصفية يعلق الوعي كل الأحكام التي لا تتعلق بالماهية الموضوعية لظواهر الوعي بما فيها مؤثرات الذات وأحكامها المسبقة، ومؤثرات العوالم

المحيطة بتلك الظواهر، فلا يبقى إلا فعل الوعي بموضوعه، وحضور الموضوع في فعل وعيه متضايفان في وحدة لا تنفصم. لكن التعليق على مستوى الفينومينولوجيا المتعالية مطالب بتعليق الطابع المادي للموضوع لبلوغ العفأسس القبلية في الذات المتعالية التي تؤسس للموضوع و للتجربة الحية. أما التعليق في الفينومينولوجيا التقومية فينصب على تعليق الموضوع نفسه بغرض إبراز مفهوم خالص لبنية الأنا المطلق وتأكيد حضوره وفعاليته في الأشياء. تلك هي أهم الأسس المشكلة للمنهج الفينومينولوجي وهي أسس متكيفة مع طبيعة الفينومينولوجيا وأشكالها عند هوسرل، مما يؤكد التداخل بين المنهج والنظرية.

2- **ميرلو-بنتي** Merleau-ponty:

فيلسوف فرنسي من فلاسفة القرن العشرين اهتم بالفينومينولوجيا خاصة عند هوسر، وبالفلسفة الوجودية خاصة عند هيدغر، من أهم آثاره: " فينومينولوجيا الادراك "، : فينومينولوجيا السلوك"...

لا يستخدم ميرلوبنتي منهجا يتبع خطوات وقواعد كما هو الحال في مفهوم المنهج العلمي، بل يستخدم مقاربة فلسفية فينومينولوجية لإدراك الأشياء والظواهر، يمكن تحديد صفاتها في الأفكار التالية:

- إختزال كل معرفة بالظواهر والسلوكات في التجربة الادراكية الأولية التي ليست فقط شعورا بشيء ما، بل تتحدد أيضا بعلاقة الذات بالعالم من خلال الجسم، ولذلك فالتجربة الادراكية هي وعي متجسد، وتحكمها الأحكام المسبقة والتاريخ والثقافة.
- الأسلوب الادراكي يدل عنده على أن أي إنسان يطور أسلوبه الادراكي الخاص به للأشياء، وهو أسلوب يتأثر بتاريخ الشخص، وجسمه وتفاعلاته الفريدة مع العالم، وهذا يقود إلى فهم محكوم بالذاتية.
- إدراك الموضوع يتطلب الإيبوخية أي تعليق الأحكام المسبقة، والنظر إلى تجليات الموضوع كما هو.
- الوصف الفينومينولوجي الدقيق لخصائص التجربة الإدراكية الحية في إدراكها للموضوع في تفاصيله الجزئية، وتجاوز كل التأويلات والتحليلات النظرية.
- إدماج آفاق الذات والموضوع معا، في علاقتهما المتلازمة في التجربة الإدراكية وعدم الفصل بينهما أو إعطاء أولوية للواحد عن الآخر.

الحقل الادراكي وهو المجال الأوسع الذي يتم فيه إدراك الظواهر، فالتجربة الادراكية ليست مجرد ادراك لموضوعات معزولة، بل هي إدراك لعلاقات تلك الموضوعات وارتباطاتها في حقلها الادراكي.

3- المنهج التأويلي:

أ- فكرة المنهج عند هانز جورج غادامير-H.G.Gadamer:

يعتبر غادامير من المؤسسين المعاصرين لفلسفة التأويل (الهرمينوطيقا -Herméneutique) وهي كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية: Hermenoen التي تعني التفسير أو التأويل، لكن غادامير يأخذ الهرمينوطيقا على أنها " فن التأويل"، وتقريب الهرمينوطيقا من الفن جعل غادامير يرفض فكرة المنهج في الفلسفة، ذلك أن فكرة المنهج أقرب إلى العلم الطبيعي منها إلى الفلسفة التي تهتم

بتأويل التجربة الإنسانية، فالمنهج العلمي التجريبي يستقي مفاهيمه من العلوم الطبيعية، وفكرة المنهج مرتبطة بهذا المجال الطبيعي وليس بالتجربة الإنسانية التي تتطلب فن التأويل أي الهرمينوطيقا الفلسفية.

إن الهرمينوطيقا الفلسفية عندغادامير هي تأويل للتجربة الإنسانية في أبعادها الفنية والتاريخية واللغوية، ولدراسة هذه التجربة يستخدم غادامير فن التأويل الذي يقوم على مقاربة جدلية تنطلق من الفهم الأنطولوجي إلى الفهم المعرفي، ومن الفهم المعرفي إلى إنصهار أفق التأويل:

1- الفهم الأنطولوجي :

الفهم الانطولوجي هو الفهم الذي يتميز بأنه نمط في الوجود، فهو ليس معرفة بل طريقة في فهم الوجود مبنية على علاقة انتماء القارئ وأحكامها. فالإنتماء هو إرتباط الباحث بتاريخه ومجتمعه وحضارته وتراثه، حيث يتأثر فهمه للفن أو النص بأحكامه المسبقة المتأتية عنها، والتي تشكل فهمه ونظرته للأشياء، والأحكام المسبقة ليست عائقا للفهم كما تدعي الوضعية أو التجريبية، بل بالعكس هي الأحكام التي من خلالها يفهم القارئ الأشياء والموضوعات، وهي عادة ما توضع مقابل الموضوعية، وبتطبيق ذلك على الفن فإن فهمه يرتبط بربطه بتجاربنا وأحكامنا المسبقة، وبالتالي بتراثنا وثقافتنا وتاريخنا.

ب- الفهم المعرفي:

لكن علاقة الانتماء هذه التي من خلال أحكامها المسبقة نفهم الأثر الفني، والتي تشكل أساس الفهم الأنطولوجي تدل أيضا على التناهي finitude المعرفي، وبالتالي قابليتها للخطأ وقصورها عن إدراك حقيقة العمل الفني، الأمر الذي يفرض أخذ مسافة من علاقة الانتماء، أي التماسف والنظر إلى العمل الفني كبنية موضوعية، أي النظر إلى محتوى العمل الفني، أو محتوى النص، ومحاولة الإمساك بعالمه الخاص، حيث يستعير غادامير هنا مفهوم البنية من دلتاي وليس من دوسوسير أو المدرسة البنيوية بشكل عام، لقد أكد دلتاي بمفهوم البنية ما يميز التجربة الإنسانية عن التجربة العلمية، بحيث تحتفظ التجربة الإنسانية ببنية خاصة. ويتساءل غادامير هنا ما إذا كانت هذه البنية الخاصة بالعمل الفني قابلة للمعرفة وما هي طبيعتها الأساسية؟ " أفلا توجد معرفة في الفن ؟ ألا تنطوي تجربة الفن على ادعاء الحقيقة التي تختلف بالتأكيد عن حقيقة العلم، ولكنها ليست دونها بالتأكيد."

إذا أخذنا العمل الفني هنا كمثال، فإن غادامير يستخدم مفهوم اللعب للامساك بطبيعة العمل الفني، فالعمل الفني له بنية خاصة وعالم خاص يتمثل في أنه لعبة بمعنى الكلمة، واللعبة رغم أنها تحتاج إلى لاعبين وتعرض على جمهور، لكنها تبقى ذات مفهوم مستقل بما يميزها من قواعد وعناصر وطريقة عمل تجذب لاعبيها وجمهورها إليها وتفرض عليهم دلالتها ونمط وجودها. لا يتعلق اللعب هنا بنظرة الفنان أو الجمهور، ولا بعلاقة الذات بالموضوع ، " لكن يتعلق بالعمل الفني نفسه وبطريقته في الوجود، هذا يفرض الوعي بسياق العمل الفني الغريب عنا وتراثه الذي ينتمي إليه، وببنيته، لأن كل أثر فني مندرج ضمن تاريخه وتراثه الثقافي والفني وبنيته كلعبة لها دلالتها المتميزة."

يتبين مما سبق أن الفهم المعرفي هو فهم فينومينولوجي وصفي لأنطولوجية الأثر الفني وتجلياته في الوعي، وبدلا من أن تقرأ الأثر الفني انطلاقا من الذات، فإن الذات تتشبع بمواضيع الآثار الفنية ودلالاتها المختلفة كأحداث تواصلية وأدائية يتطلب وجودها متفرجين نشطين أو مشاركين مستمعين.

ث- إنصهار أفاق فهم القارئ مع فهم الأثر الفني:

يشير مفهوم انصهار الآفاق إلى اندماج سياقات مختلفة وآفاق مختلفة في فهم الأثر الفني، وهذا لا يحصل إلا من خلال الحوار والنقاش وجدلية السؤال والجواب التي تقرب الفهم بين أفق القارئ وتجاربه في فهم الفن في الحاضر والدلالات المختلفة للأثر الفني في سياقاته التاريخية والثقافية المختلفة، ولذلك يتسم هذا الفهم بأنه تركيبي، بالإضافة إلى أنه أنطولوجي، لأن فيه عودة إلى وجود الذات في الحاضر وقد تشبعت بالدلالات المختلفة للأثر الفني، وأخيرا هو فهم تطبيقي لأنه تطبيق لما تفهمه الذات على واقعها وكشف للإمكانيات المختلفة التي يفتحها ذلك الفهم أمامها، حيث أن ما نفهمه في الأُثر الفني بالنسبة لغادامير ليس أصالته أو أنموذجه الأول بل تطبيقات ذلك الأنموذج ودلالالتها التاريخية المختلفة و ما تفتحه أمامنا من آفاق.

نستخلص مما سبق أن عملية التأويل عند غادامير عملية كلية تنطلق من الفهم الأنطولوجي إلى الفهم المعرفي الفينومينولوجي، ومن الفهم المعرفي الفينومينولوجي إلى الفهم الأنطولوجي التطبيقي.

إن المتأمل في هدا الجدل بين خطاب التأويل وخطاب معرفة الأثر الفني أو خطاب القارئ وخطاب النص، يجعلنا أيضا نستخلص أن رفض غادامير اعتبار التجربة الفنية موضوعا للمنهج العلمي، لم يمنعه من استخدام أنواع من الجدل يستدعيها التأويل أولها جدل الإنتماء والتماسف، وثانيها جدل الفهم الأنطولوجي والفهم المعرفي الفينومينولوجي، وأخيرا جدل السؤال والجواب الذي يسمح بتجسيد الحوار السقراطي في تناول المفاهيم والأشياء، والانتهاءالى انصهار أفقي القارئ والنص في الفهم التطبيقي.

أ- بول ريكور- Paul Ricoeur:

يعتبر ريكور أيضا من الفلاسفة الذين أضافوا أبعادا جديدة للهرمينوطيقا الفلسفية، وهي عنده "دراسة لعمليات الفهم في علاقتها بتأويل النصوص " ، وبما أن أهم فهم بالنسبة له هو فهم الذات لنفسها واكتشاف طريقة لوجودها، فإن هذا الفهم لا يتم مباشرة بطريقة حدسية كما هو الشأن عند شلايرماخر أودلتاي، بل يتم بطريقة غير مباشرة عن طريق تأويل الآثار والثقافات والنصوص والأفعال الانسانية، وهذا ما يسميه ريكور بهرمينوطيقا المنعطف الطويل في فهم الذات الذي يمر عبر قراءة تأويلية للآثار والنصوص التاريخ والثقافات والأفعال، بالتالي، التعريف الأمثل للهرمينويقا هو أنها تأويل لتلك الآثار والنصوص والأفعال من أجل فهم الذات لنفسها.

إن هذا التعريف للهرمينوطيقا يحتم استخدام مناهج ليس بالضرورة من العلوم الطبيعية التي تبقى امكانية من الامكانيات، بل من العلوم اللغوية مثل السيمياء وعلم الدلاليات والتداوليات والفيلولوجيا وتحليل الخطاب...، فمناهج هذه العلوم المتعددة يمكن استخدامها في تأويل النصوص، لكن الهرمينوطيقا عند ريكور ليست فقط استخدام المناهج قصد معرفة دلالة النصوص، بل هي أوسع من ذلك إذ تسعى إلى فهم الذات الإنسانية من خلال دلالة النصوص والأفعال الإنسانية.

يتبين مما سبق أن هناك من جهة حاجة إلى الفهم، ومن جهة أخرى حاجة إلى المناهج من أجل تفسير وتحليل النصوص والثقافات والأفعال والتاريخ، وإذا كان دلتاي يفصل بين الفهم والتفسير، فيجعل الفهم خاصا بالعلوم الإنسانية والتفسير خاص بالعلوم الطبيعية فإن ريكور يرى على العكس من ذلك أن هناك جدلية بين الفهم والتفسير في العلوم الإنسانية وفي التاريخ والنصوص، ويأخذ هذا الجدل ثلاثة خطوات:

أ- **الفهم الأنطولوجي:** في هذا المجال نجد ريكور متأثرا بهيدغر وغادامير، حيث فهم القارئ للنص أو الفعل الإنساني تحدده علاقة الانتماء، أي علاقة القارئ بتراثه وتاريخه وثقافته، حيث أحكامه المسبقة المستمدة منها تؤثر على وعيه بموضوع النص أو الفعل، فينتج لدى القارئ افتراضات وأفكار حول ما يقرأه غير متأكد منها، وهنا يؤكد ريكور الحاجة إلى معرفة الصحيح منها والخاطئ.

ب- **التفسير أو الفهم الابستمولوجي:** ينتقل القارئ إلى مرحلة التفسير، وهي مرحلة موضوعية يتأكد من خلالها القارئ من أحكامه المسبقة حول موضوع النص عن طريق منطق الاحتمالات، ويستخدم مختلف المناهج الملائمة في تحليل النصوص وتفسيرها، كالمنهج البنيوي، أو مناهج تحليل الخطاب، أو التفكيك، أو المقارنة...كما يراعي مختلف التأويلات التاريخية السابقة له للنص ويحكم فيما بينها بهدف الوقوف على بنية النص أو دلالته العميقة.

ت- **الفهم التطبيقي:** يرتكز عند ريكور على التركيب بين الفهم الأنطولوجي والتفسير الابستمولوجي من خلال التوفيق بينهما وتصحيح الواحد منهما بالآخر، وتطبيق ذلك الفهم عل الوجود الراهن للقارئ و انتظار ما يفتحه أمامه من آفاق، وبهذا يتصف الفهم التطبيقي بأنه فهم أنطولوجي باعتباره تطبيقا على الوجود الراهن للذات. وهكذا فإن جدل الفهم والتفسير يمر عند ريكور من الفهم الأنطولوجي إلى التفسير الابستمولوجي، ثم من التفسير الابستمولوجي الى الفهم التطبيقي التركيبي.